

خليل مطران (شاعر القطرين) كاتب كبير وشاعر ملهم يعد إمام المجددين في الشعر العربي الحديث والشاعر الوحيد البارز الذي قدم من بلاد الشام إلى مصر في نهاية القرن التاسع عشر. وقد أصاب حظاً عظيماً بدراسته على يد إبراهيم اليازجي وخليل اليازجي إذ يبدو أثر هذين المعلمين واضحاً في ثقافة خليل مطران لا سيما في عنايته باللغة العربية. كان صاحب فكر تحرري ناهض الاستبداد العثماني المتمثل بالسلطان عبد الحميد واضطر إلى الهروب من بلاده إلى فرنسا عام 1890 بسبب إحدى قصائده. أقام مدة من الزمن في باريس يدرس الأدب ويطالع التاريخ فأعجب بالشعراء الفرنسيين ولا سيما "ألفريد دي موسيه"، اتصل برجال الحركة الوطنية التركية في باريس وانضم إلى حزب تركيا الفتاة المعارض فتابعت الحكومة التركية تضيقها عليه من خلال قنصليتها في باريس ووجهت له السلطات الفرنسية إنذاراً لوقف نشاطه فغادر فرنسا قاصداً مصر عام 1892. وفي مصر عمل محرراً في جريدة الأهرام لسنوات عدة ثم أنشأ المجلة المصرية وكانت أول مجلة اختلفت بالشؤون الأدبية في الشرق. دخل بعد ذلك إلى عالم الاقتصاد وأصبح مورده الوحيد ولكنه أصيب بخسارة كبيرة أفقدته كل ما يملك فنظم قصيدة المشهورة (الأسد الباكي) عام 1912 صور فيها حالته النفسية المتعبة. توفي خليل مطران عام 1949 وترك إرثاً أدبياً مميزاً سماه ديوان الخليل، كما عمل في ترجمة أهم الأعمال الأدبية لشكسبير، مظاهر التجديد في شعر مطران اتفق أكثر الباحثين على أن مرحلة التجديد الشعري تبدأ بدعوة خليل مطران التي أعلنها عام 1905 في مجلته: المجلة المصرية، تطعيم الشعر العربي بمذاهب الشعر الغربي تحرير الشعر من قيود نوي السلطة والجاه، والتكرار في الموضوع القديم وكل ما هو زائف في الشعر وقد وضح منهجه في التجديد في مقدمة ديوانه بقوله: (هذا الشعر ناظمه ليس بعبد ولا تحمله ضرورات الوزن على غير قصده يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الصحيح ولا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد بل ينظر إلى جمال البيت في ذاته و موضعه وإلى جملة القصيدة في تركيبها وتناسق معانيها وتوافقها مع دور التصور وغرابة الموضوع ومطابقة كل ذلك للحقيقة وشفوفه عن الشعور الحي وتحرري دقة الوصف واستيفائه فيه على قدر). ومن ملامح التجديد في شعر الخليل أنه استطاع أن يدخل القصة إلى الشعر مع عنايته الفائقة بكل تفاصيل القصة ومقومات الفن فيها ولكن أبرز ملامح التجديد تجلى بـ "ظهور تباشير المذهب الرومانسي في شعره" ويعد كثير من النقاد والباحثين خليل مطران مؤسس المدرسة الرومانسية في الشعر العربي فقد كان شاعراً موهوباً استوعب جيداً النزعة الرومانسية في الأدب الفرنسي وأعاد صياغتها وتقديمها للمتلقي العربي بلغته وأسلوبه الخاص لذلك استطاع أن يطور هذه النزعة في الشعر أكثر من جميع الشعراء الصغار الذين ينقلون مباشرة عن مصدر أجنبي وقد حمل شعره بذور الرومانسية العربية وتمثلت إرهابات هذا المذهب في شعر مطران بما يلي: عنايته بالخيال الشعري المجنح والتصوير الدقيق لعوالم النفس تلون شعره بألوان الحزن والكآبة صور نفسه في كثير من شعره فرداً وحيداً كئيباً سلبياً مستسلماً استعمل الوقت استعمالاً مجازياً قصد بها التعبير عن خلجات نفسه بمفردات عذبة سلسلة بسيطة وقصيدته (المساء) تعد أنموذجاً عالياً من نماذج الشعر الرومانسي العربي؛ داءٌ ألمٌ فخلتُ فيه شَفَائِي مِنْ صَبَوْتِي فَتَضَاعَفَتْ بُرْحَائِي يَا لِلضَعِيفِينَ اسْتَبْدَأَ بِي وَمَا فِي الظُّلْمِ مِثْلُ تَحَكُّمِ الضُّعْفَاءِ قَلْبٌ أَصَابَتْهُ الصَّبَابَةُ وَالْجَوَى وَغِلَاظَةٌ رَنَّتْ مِنْ الْأَدْوَاءِ إِلَيَّ أَقَمْتُ عَلَى التَّلَعَّةِ بِالْمُنَى فِي غُرْبَةٍ قَالُوا تَكُونُ دَوَائِي شَاكٌ إِلَى الْبَحْرِ اضْطَرَابَ خَوَاطِرِي فَيَجِيبُنِي بِرِيَاحِهِ الْهَوَّجَاءِ نَاوٍ عَلَى صَخْرٍ أَصَمٍّ وَلَيْتَ لِي قَلْبًا كَهَذِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ يَا لِلْغُرُوبِ وَمَا بِهِ مِنْ عِبْرَةٍ لِلْمُسْتَهَامِ وَعِبْرَةٌ لِلرَّائِي وَخَوَاطِرِي تَبْدُو تَجَاهَ نَوَاطِرِي كَلَمَى كِدَامِيَةِ السَّحَابِ إِزَائِي فَكَأَنَّ آخِرَ دَمْعَةٍ لِلْكُونِ قَدْ مُرَّيْتُ فِي الْمِرَاةِ كَيْفَ مَسَائِي وَمَعَ قَدْرَةِ مَطْرَانَ عَلَى التَّحْلِيْقِ فِي آفَاقِ شَعْرِيَةِ جَدِيدَةٍ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَنْسَلِخْ عَنِ الْأَصَالَةِ الْعَرَبِيَةِ فِي بِنَاءِ الْقَصِيدَةِ وَقُوَّةِ نَظْمِهَا وَالتَّزَامِ الْبَحُورِ الْعَرُوضِيَةِ فِي ضَبْطِ مَوْسِقَاهَا الْخَارِجِيَةِ وَهُوَ فِي التَّزَامِ هَذَا بَيْنَ حَيَوِيَّةِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ وَقَدْرَتِهِ عَلَى مَوَاجِبَةِ التَّغْيِيرَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ. لَذَا يَجْمَعُ أَكْثَرَ الدَّارِسِينَ أَنَّ التَّجْدِيدَ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ انْطَلَقَ مِنْ دِيَوَانِ الْخَلِيلِ فَبَعْدَ إِرْهَابَاتِ الرُّومَانِسِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي أَشْرَقَتْ مِنْ شَعْرِهِ نَجْدَ اكْتِمَالِ عُنَاصِرِ الْقِصَّةِ الشَّعْرِيَّةِ فِي قِصَائِدِ عِدَّةٍ مِنْهَا: مَقْتَلُ بَزْرِ جَمْهَرٍ، وَكَانَ اسْتِحْدَاثُ الشَّعْرِ الْقِصَصِيِّ مِنْ أَهَمِّ إِسْهَامَاتِ خَلِيلِ مَطْرَانَ فِي تَجْدِيدِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ وَقَدْ لَجَأَ مَطْرَانَ إِلَى هَذَا النُّوعِ لِيَعْبِرَ عَنِ أَفْكَارِهِ الْخَاصَّةِ؛ يَا يَوْمَ قَتَلْتُ بَزْرَ جَمْهَرٍ وَقَدْ أَنَا أَوْ فِيهِ يَلْبُونَ النَّدَاءَ عِجَالًا مُتَالِّبِينَ لِيَشْهَدُوا مَوْتَ الَّذِي أَحْيَا الْبِلَادَ عَدْلًا وَنَوَالًا يُبْدُونَ بِشْرًا وَالنَّفُوسُ كَظِيمَةٌ يُجْفَلْنَ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ إِجْفَالًا وَيَلُوحُ كِسْرَى مُشْرِفًا مِنْ قَصْرِهِ شَمْسًا تُضِيءُ مَهَابَةً وَجَلَالًا هُمْ حَكْمُوهُ فَاسْتَبَدَّ تَحَكُّمًا وَهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَصُولَ فَصَالًا وَإِذَا الْوَزِيرُ بَزْرَ جَمْهَرٍ يَقُودُهُ جَلَادُهُ مُتَهَادِبًا مُخْتَالًا وَتَرُوحُ حَوْلَهُمَا الْجُمُوعُ وَتَغْتَدِي كَالْمَوْجِ وَهُوَ مُدَاعَفٌ يَتَتَالَى سَخَطَ الْمَلِكِ عَلَيْهِ إِثْرَ نَصِيحَةٍ فَاقْتَصَصَ مِنْهُ غَوَايَةَ وَضَلَالًا نَادَاهُمْ الْجَلَادُ هَلْ مِنْ شَافِعٍ لِيُزْرَجْمَهْرَ فَقَالَ كُلُّ لَأٍ وَأَدَارَ كِسْرَى فِي الْجَمَاعَةِ طَرْفُهُ فَرَأَى فَتَاةً

كَالصَّبَّاحِ جَمَالًا تَسْبِي مَحَاسِنِهَا الْقُلُوبَ وَتَنْتَبِي
 الرَّسُولُ إِلَى الْفَتَاةِ وَقَالَا مَوْلَايَ يَعْجَبُ كَيْفَ لَمْ تَتَّقِنِّي
 عَنهَا عِيُونَ النَّاطِرِينَ كَلَالًا فَأَشَارَ كِسْرَى أَنْ يُرَى فِي أَمْرِهَا فَمَضَى
 قَالَتْ لَهُ أُنْعَجِبُ وَسُؤَالًا فَارْجِعْ إِلَى الْمَلِكِ الْعَظِيمِ وَقُلْ لَهُ مَاتَ
 النَّصِيحُ وَعِشْتَ أَنْعَمَ بَالًا أَنْظُرْ وَقَدْ قُتِلَ الْحَكِيمُ فَهَلْ تَرَى
 إِلَّا رُسُومًا حَوْلَهُ وَظِلَالًا مَا كَانَتْ الْحَسَنَاءُ تَرْفَعُ سِتْرَهَا لَوْ
 أَنَّ فِي هَذِي الْجُمُوعِ رَجَالًا يَبْدُو جَلِيًّا فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَنَّ خَلِيلَ مَطْرَانَ تَأْتِرُ بِالْأَدْبِينِ الْفَرَنْسِيِّ وَالْإِنْكَلِيزِيِّ تَأْتِرًا كَبِيرًا فِي اسْتِحْدَائِهِ
 الشعر القصصي الأمر الذي تؤكد عودته إلى التراث الإنساني واستلهام ما فيه من سير الملوك والممالك وإسقاط ما فيها من عبر
 على الواقع الذي يعيشه مجتمعه في محاولة لبث الوعي بين الجماهير وحضها على رفض الواقع السيئ ، 1- الزمان: يوم قتل
 الوزير بزر جمهر 2- المكان: ساحة عامة في مملكة كسرى تطل عليها شرفة قصره الشخصيات الفرعية: الجماهير ، وما تهادى
 الجلال مختالاً بسوق الوزير الحكيم إلا تمثيل حسي لنفسه الوضيعة التي تتباهى بقوة الظلم والطغيان وأما الفتاة الحسنة فكان
 سفورها دليلاً على شخصية رافضة للظلم مؤمنة بقوة الحق. 4- الحبكة القصصية (العقدة والحل): استطاع مطران أن يحكم
 حيكته القصصية على بساطتها ويمنحها وحدة عضوية تتلاحق فيها الأحداث حتى تبلغ الذروة ثم تنحدر إلى الحل . و وصف
 جموع الجماهير و وصف الملك الظالم والحديث عن سبب هذا الحدث الجلل (سخط المليك عليه إثر النصيحة) و يصف جنب هذه
 الجماهير و خذلانها ، مع أنها تفور غيظاً وحنقاً على ظلم كسرى وجبروته ولكنها تؤكد تبرؤها من الوزير الحكيم (فقال كل: لا ،
 يرى كسرى فتاة سافرة رائعة الجمال تثير انتباهه لا بجمالها فقط بل بسفورها وتركها للعادات السائدة في لبس النساء ، ما كانت
 الحسنة ترفع سترها لو أن في هذِي الجموع رجالاً عمد مطران إلى سرد أحداث القصة سرداً مباشراً بصوته متخذاً
 دور الراوي دون أن يغفل صوت الحوار في صناعة الحدث وكشف معالم الشخصيات ، جاء الحوار على لسان الجلال قصيراً
 مختزلاً تطغى عليه لغة الوعيد والطغيان (هل من شافع لبزر جمهر ، لا) وما غايته إلا الكشف عن عجز الناس وجبنهم وتقاعسهم
 عن الدفاع عن وزيرهم المصلح. وأما حوار الرسول مع الفتاة كان حواراً وظيفياً ينم على شخصية لا قيمة لها في سير الحدث
 بينما أتى حوار الحسنة طويلاً متمكناً مشحوناً بالغضب والقهر والحزن واليأس. وقد أبدع مطران في الفن التصويري الوصفي
 واستطاع خلق دلالة محورية في ربطه بين الأمر المادي (سفور الفتاة) وبين الأمور النفسية (الجبن ، استطاع خليل مطران صنع
 جسر معنوي ربط بين الماضي والحاضر قارب بين لغة القصيدة والعربية وشكلها وأساليبها ولكنه منحها روحاً جديدة تعبر عن
 معاناة الإنسان العربي وطموحاته ،